الاهـــداء

الى أســتاذى : الدكتور مصطفى الخشــاب

أســتاذا ... علمنــا أن للكلمات كبرياء .

وانســانا ... نمونا فى دفء عواطفه الأبوية الصــادقة .

ومثــالا ... فرض نفســه ـ شامخا ـ على خريطة علمنــا .

وتذكارا ... تهفو اليه نفوسنا حينما ترهقنا المســيرة .

له منــا كل رحمة ومغفــرة ...

على ليــلة

تصـــدير

بقـلم : دكتور محمد الجوهرى

هذا هو العمل الثالث الذى تقدمه سلسلة علم الاجتماع المعـاصر من تأليف الزميل الدكتور على ليـلة ، فقد نشر له فيهـا من قبل كتابا عن **النظـرية الاجتماعية المعـاصرة** ، وها هو اليوم يتناول بالدراسـة احـدى المدارس الكبرى فى علم الاجتماع التى أنفق من عمره عشر سـنوات كاملة فى دراستها ، حتى ارتبط اسمه بهـا وارتبطت هى باسمه ٠

ولم يكن الدكتور على ليـلة مجرد جامع لمعلومات عن آراء رواد الوظيفية وأعلامها ـ ولكنه كان دارسـا ناقـدا ومحللا نزيها لأعمال هؤلاء المفكرين ومواقفهم ٠ ولقـد انطلق فى دراسـته هذه من فرض اساسى يقول فيه : اذا كانت المدرسـة الوظيفية قـد مثلت احدى مدارس التشيع والايمان الجامد باى من حالات النسـق ، فان عليها اذ ما أريد أن يكتب لهـا الحياة والبقـاء ان تعمل على تطوير امكانية فهم كافة حالات هذا النسـق الاجتماعى الذى تدرسـه ٠ فنحن نعلم أن الوظيفية قـد أكدت فى مرحلة معينة على حالات التكامل والاستقرار والتوازن تحت تأثير معطيات جردت عن واقع الشـعوب البدائية الساكنة نسـبيا وذات الايقاع الأهدأ فى التفاعل ٠ وقـد أصبح من الواجب عليها اليوم أن تطور فروضا عن الصراع والتغير ـ لأنهـا أصبحت مطالبة بأن تدرك وتفهم أنسـاق مجتمعات متباينة ومعقـدة ـ تلعب فيهـا هذه العمليات دورا محوريا ٠

كما أنه مازال على المدرسـة الوظيفية أن تتحول الى نظرية ، بمعنى أن تتخلص من كل ما هو ذاتى ، وان تعمل على صـياغة كيان نظرى يستوحى روادها مقولاته الرئيسية ٠ ومن شـأن ذلك أن تنتفى امكانية أن يكون هنـاك اعتبار لوجهات النظر الخاصة ، بل يكون الاعتبار لكيان نظرى شـامل ٠ وواضح ٠ بذلك تصبح البنائية الوظيفية شـيئا أكثر شمولا من نظرات دوركايم أو مالينوفسكى أو رادكليف براون أو بارسونز أو ميرتون ، وان تطورت عنهـا ونمت منهـا ٠

ثم أنه على المشتغلين بهذا الفكر وأصحاب هذه المدرسة ألا يحجموا عن التشكك الدائم فى فروضها ، بل ان عليهم ألا يتوقفوا عن مناقشتها مع الخارجين عنها ، ففى ذلك اثراء لهـا وتطوير لمفاهيمها ، وفيه محاولة لابعاد أية مسحة أيديولوجية ترتبط بهـا ٠

وفى رأيى أن هذه المنطلقات الثلاث لدراسة الدكتور على ليلة قد أضفت عليها قوة ومنحتها وضوحا واتساقا وجعلت منها اضافة الى الفكر النظرى فى علم الاجتماع بلغتنا العربية ٠

وقد قسم الدكتور على ليلة كتابه الى ست فصول تناول فى **الفصل الأول** منهـا ثلاثة قضايا اساسية هى : بنـاء النظرية العلمية ، ثم نشأة البنائية الوظيفية فى القرن الثامن والتاسع عشر كنتاج لتفاعل تيارين فلسفيين هما التيار المثالى النقدى والتيار الوضعى العلمى ، وفى القضية الثالثة عالج المؤلف علاقة الايديولوجيا بالنظرية ٠ وبذلك يعد هذا الفصل تمهيدا عاما للموضوع ، وتوضيحا لمفاهيمه وقضاياه ٠

وفى الفصل الثانى تناول المؤلف آراء اميل دوركايم وأبرز فيه أهم اسهاماته فى الاتجاه البنائى من حيث صياغته أولا لبذور نظرية عن التغير ، ثم فى صياغته للتجسيد المتشيء للبناء الاجتماعى كوجود منفصل ومتميز يسمو على الوجود الفردى ، هذا بخلاف عرض لوجهة نظره فى قضايا النظرية والمنهج ودور السلوك الانحرافى فى النسق الوظيفى ٠

وركز المؤلف فى **الفصل الثالث** على آراء مالينوفسكى وبين قدرته الفذة فى اجراء الدراسات الميدانية ، وأوضح وجهة نظره فى اتجاه الاداء الوظيفى وأهم مقولات التصور الوظيفى عنده ٠

وأوضح فى **الفصل الرابع** كيف أن رادكليف براون يمثل تآلفا مكتملا من آراء دوركايم ومالينوفسكى ، وكيف أنه أعمل النظرية فى البحث الميدانى ثم كيف تخلى عن التطرف الدوركيمى وعن التطرف المالينوفسكى أيضا سواء فى اتجاه الأداء الوظيفى أو فى تأليه أو اجمالى الوجود الاجتماعى أو الفردى وحاجاته ٠

وفى **الفصل الخامس** عالج تالكوت بارسونز ، الذى يعد أكثر منظرى الاتجاه الوظيفى قدرة وعبقرية ، فتناول أهم أسهاماته سواء فى قدرته على صياغة التصور النسقى ، أو تحديد الخطوط العامة لنظرية الفعل ، وتحديده لموقفه النظرى والمنهجى ، ثم أهم المقولات الوظيفية فى بنائه النظرى • وركز بعد ذلك على معالجة بارسونز لقضية التغير الاجتماعى ، التى توجه اليه فيها العديد من الانتقادات •

وتناول الدكتور على ليلة فى **الفصل السادس** والأخير آراء روبرت ميرتون ، وأوضح فيه أن جهده لم يكن أكثر من حاولة صياغة منظمة لمقولات الاتجاه الوظيفى بصورة تجعله أكثر ملاءمة لتناول معطيات المجتمع المعاصر ثم نموذجه التحليلى ، والمقولات الوظيفية كما تجلت فى وجهة نظره •

وهكذا نعطى الكتاب دراسة أصولية متعمقة لوحدة من ابرز وأخطر المدارس فى علم الاجتماع المعاصر • وهى أفضل ما كتب حتى الآن عن هذه المدرسة باللغة العربية • وسوف يتضح بجلاء أن الدكتور على ليلة لم يكن وظيفيا متعصبا ، ولكنه اجتهد أن يقدم رؤية نقدية متكاملة هى التى أضفت على هذه الدراسة اصالتها وتميزها •

وانى لأرجو أن يتصل عطاء الدكتور على ليلة للدراسات الاجتماعية العربية تأليفا وبحثا ، وأن يتمكن فى القريب من دفع البحوث الميدانية التى أنجزها فعلا الى المطبعة ، وذلك لكى يكتمل اسهامه فى الدراسة السوسيولوجية للواقع المصرى تنظيرا وممارسة •

والله يوفقنا الى ما فيه الخير •••

محمد الجوهرى